حجاجية الأساليب الإفصاحية في القرآن الكريم

د . نبراس حسين مهاوش
كلية الإعلام-جامعة بغداد

د . بلسم عباس حمودي
مركز الدراسات الإستراتيجية
جامعة كربلاء

الكلمات المفتاحية: حجاجية، القسم، الأساليب الافصاحية، القرآن الكريم.

المقدِّمة:

تبحثُ هذه الدراسةُ عن حجاجية التراكيب أو العباراتِ اللفظية المعبرة عن المعاني الانفعالية الخاصة بـ: (ألفاظ العقود)، و(القسم)، و(الندبة)، و(التعجب) التي سماها الدارسون المحدثونَ بـ: (الأساليب الانفعالية، أو الأساليب الإفصاحية)، وهي عبارات أثارت خصوصيّةُ في بنائها اللّفظي في اختلافهِ عن البناء اللفظي المعهود لـ (الجملة) القائم على علاقة الإسناد الأصلي، إشكالاتٍ دراسيةً متعدّدةً شغلت حيزا واسعا من عناية الدرس اللغوي قديما وحديثا.

إنَّ الدكتور تمام حسان كان أول من ميّز هذه المعاني في العربية بصفتها الافصاحية ووضعها في قسم خاص من أقسام الكلم، وأطلق عليها تسمية: (الخوالف)؛ وذلك في كتابه: (اللغة العربية معناها ومبناها).

وكذلك بحث الدكتور تمام هذه الموضوعات في كتابه: (الخلاصة النحوية)، فأخرج موضوعات عدة، منها: صيغ العقود، واطلق على هذه الموضوعات تسمية: (الإفصاحيات)، ينظر: (تمام، 1994، صفحة 88 و113)، قائلا عنها: "ليس في الجملة الإفصاحية معنى الطلب وإنما يقصدُ بها التعبير عن خلجات النفس حتى عندما يقول القائل: صه أو يزجر الحيوان أو يحكي الصوت لا يقوم بصياغة جملة طلبية، وإنّما يعبّر عن حاجة نفسية إلى الصمت، أو الزجر، أو غير ذلك" (تمام، الخلاصة النحوية، 2005م، صفحة 148).

تتضمن الدراسة تمهيدا نتحدث فيه عن مفهوم الحجاج، والنظرية الحجاجية ومفهوم الأساليب الإفصاحية. ومبحثين: عنوان المبحث الأول: حجاجية أسلوب القسم في القرآن الكريم. أما المبحث الثاني فعنوانه: حجاجية أسلوب

التعجب في القرآن الكريم، ونختم البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث وقائمة بالمصادر والمراجع.

التمهيد:

1- مفهوم الحجاج:

الحجاج لغة: الغلبة بالحُجج، وهو من مادة (ح,ج,ج)، والحُجَة: وجه الظِفر عند الخصومة، والفعل حاججته فحججته واحتججت عليه بكذا، وجمع الحجة: حُجج، ينظر: (الفراهيدي، 1431هـ، صفحة 10 ج3).

وفي لسان العرب: "حاججته، أُحاجُّه، حِجاجاً، ومُحاجَّةً حتى حَجَجْتُه، أي: غَلَبْتُه بالحُجَجِ التي أَدْلَيْتُ بها...، والحُجَّة البُرهان، وقيل: الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم" (منظور، صفحة 779 مادة (حجج))، وقال الأزهري: الحجّة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وهو رجل محاجج أي: جَدِل، والتحاجج: التخاصم، وجمع الحجّة: حِجج وحِجاج، وحاجّه محاجّةً، وحجاجًا نازعه الحجّة، وحجّه يحجّه حجًّا: غلبه على حجّته...، واحتجّ بالشيء: اتخذه حجّة، والحجّة: الدليل والبرهان" (منظور، صفحة 780 مادة (حجج)).

وفي الاصطلاح الحجاج هو: "نشاط كلاميّ، واجتماعي، وعقلي الغرضُ منه: إقناع ناقد معقول (reasonable critic) بمقبولية وجهة نظر (standpoint) عن طريق تقديم كوكبة من القضايا المُبَرَّرة، أو المُفنَّدة للقضية المُعبَّر عنها في وِجْهة النظر" (الاستراباذي، 2000م)، فهو: "توجيه خطاب إلى متلقٍ؛ لأجل تعديل رأيهِ, أو سلوكهِ, أو هما معًا, وهو لا يقوم إلّا بالكلام المتألف من معجم اللغة الطبيعية"، ينظر: (الخليفة، 2007م، صفحة 236 و238). والاحتجاج سماه الزركشي إلجام الخصم بالحجة (الزركشي، 1958، صفحة 468)

يتضح من المعنى اللغوي والاصطلاحي للحجاج دلالات متعددة، نذكر منها:

1- معنى: القصد، وما يتضمنه من نيّة ووعي، ففعل الحجاج فعلٌ قصدي، وليس فعلا ارتجاليًا أو عفويًا.

2- الحجاج يرتبط بالعقل؛ لأنه قام على الاختيار والتفكير والتأمل.

3- وأنه فعل أو حدث ثنائي، بمعنى أنه لا يتم بين الملقي ونفسه، وإنما بين يتم الملقي والمتلقي ناتج عن اختلاف أو خصومة بين الطرفين؛ لذا فأطراف الحجاج ليست متشابهة وإنما مختلفة.

4- وأن الحجاج لا بد له من حجج، أي: أدلة وبراهين، يغلب بها المحاجّ خصمه. (القزويني، 2008م، صفحة 237 ج2)

2- نظرية الحجاج:

وضع أزفالد ديكرو أساس نظرية الحجاج اللغوي الفرنسي منذ سنة 1973، وهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية، وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم؛ وذلك بقصد توجيه الخطاب وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية. تريد النظرية أن تبين أنَّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى، هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها. ينظر: (العزاوي، 1426هـ-2006م، صفحة 14).

وإنّ هذه النّظرية جاءت في مصنف صدر عام 1983 بعنوان: (الحجاج في اللغة) لديكرو وانسكومبر، فقد أعادا تحديد مفهوم الحجاج ذاته انطلاقًا من تحليل (الكلمات الفارغة)، أي الروابط وهي تطبق على الكلمات (الملأى) التي تقدم تحليلا لها قائما على التوجيه الذي توفره للخطاب، ينظر: (بلانتان، 2010، صفحة 117)، و"تنطلق هذه النظرية من الفكرة الشائعة التي مؤداها: إننا نتكلم عامة بقصد التأثير، وهي تحاول تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية" (العزاوي، 1426هـ-2006م، صفحة 8)، ومعنى هذه الوظيفة أنّ التّسلسلات الخطابية محددة بوساطة الأقوال، وبنيتها، وبوساطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها، فالحجاج مؤسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها، واشتغالها داخل الخطاب، ينظر: (الخليفة، نظرية الفعل الكلامي، 2007م، صفحة 275)

فالحجاج هو الآلية التي يتجسد عبرها الإقناع، "إذ إنَّ نقل الخبر وتبادل الآراء والأفكار بين المتكلم والمتلقي، يتضمن القصد والنية في مضمون الرسالة، لإحداث الإقناع بأسلوب المحاجة" (بوسلاح، 2014-2015، صفحة 12)

وإنّ الحجاج آلية تجسّد الخطاب الإقناعي، وله عدد من الملامح أهمها:

1ـ يتوجه إلى متلقٍّ سواء أكان جمهورا كونيا، أم جمهورا خاصا على اعتبار الحجاجيين.

2. يعبّر عنه بلغة طبيعية.

3ـ مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية؛ إذ هناك إمكانية النقض، أو الدحض، مما يجعل من إمكانية التسليم بالمقدّمة المعطاة أمرا نسبيا بالنسبة إلى المتلقي أو المستقبل.

4. لا يفتقر تقدّمه إلى ضرورةٍ منطقيةٍ.

5. ليست نتائجه ملزمة (بوسلاح، 2014-2015، صفحة 25).

"ويتمثل الحجاج في انجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها" (العزاوي، 1426هـ-2006م، صفحة 21).

ويرى ديكرو أن تحقق الوظيفة الحجاجية لا يكون إلا بوجود نوعين من المكونات اللغوية، والتي تسمى بـ: (القرائن الحجاجية)، النوع الاول: أطلق عليه تسمية: الروابط الحجاجية، وهي: مكونات لغوية تداولية تربط بين قولين أو بين حجتين أو أكثر، وتسند إلى كل قول دورا محددا داخل استراتيجية حجاجية واحدة، تسمح بالربط بين المتغيرات الحجاجية: (بين الحجة والنتيجة، أو بين مجموعة من الحجج)، وتضم مجموعة من الأدوات، هي: الواو والفاء وبل ولكن وحتى و لاسيما وإذن ولأنَّ وبما أنَّ وإذ .. وغيرها. (العزاوي، 1426هـ-2006م، صفحة 30)

والنوع الثاني: أطلق عليه تسمية: العوامل الحجاجية، وهي: عناصر لغوية إسنادية أو معجمية لا تربط بين متغيرات حجاجية، أي: بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة من الحجج، ولكنها تقوم بحصر الإمكانات الحجاجية وتقييدها والتي تكون لقول ما، وتضم مجموعة من الأدوات، هي: ربما وتقريبا وكاد وقليلا وكثيرا وما وفي الأقل ومنذ الظرفية وإلا... وأدوات القصر، ينظر: (العزاوي، 1426هـ-2006م، الصفحات 25-27).

"إنَّ وجود الروابط والعوامل الحجاجية لا يكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية، ولا يكفي أيضا لقيام العلاقة الحجاجية، بل لابد من ضامن يضمن الربط بين الحجة والنتيجة، هذا الضامن هو ما يعرف بالمبادئ الحجاجية... هذه المبادئ هي قواعد عامة تجعل حجاجا خاصا ما ممكنا" (العزاوي، 1426هـ-2006م، صفحة 31)

وعلى هذا الأساس "فالحجاج الاقناعي هو إطلاق العنان لنشاط غايته التأثير في أفكار الفرد والجماعة وآرائهم ومواقفهم. يفهم من هذا النص أن الحجاج توخي التأثير في الأفراد والجماعات والسيطرة على سلوكاتهم ومواقفهم بحسب مقتضى الحال واستراتيجية المتكلم، وهذا ما يجعل منه استراتيجية تواصلية بامتياز" (علوي، 2010، صفحة 282)

3- الأساليب الافصاحية:

هناك فرق بارز يمتاز به الكلام ويقسمه على قسمين، هما: الخبر والإنشاء

والإنشاء: وهو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا تلفظت به. ويقسم على قسمين:

- الإنشاء الطلبي: هو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصلٍ في اعتقاد المتكلم وقت الطلب. وهو خمسة أنواع: الأمر والنهي والتمني والاستفهام والنداء.

- الإنشاء غير الطلبي: ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب. وأنواعه كثيرة، منها: صيغ المدح والذم، وصيغ العقود، والقسم، والتعجب، والرجاء، ورب وكم الخبرية. ينظر: (الهاشمي، صفحة 69 و70)

واطلق الدكتور تمام حسان على هذا النوع من الإنشاء مصطلح التركيب الافصاحي الإنشائي التأثري الانفعالي الذي يسمونه affective language. ولم يحض الأسلوب الافصاحي (الإنشاء غير الطلبي) باهتمام كبير في الدرس البلاغي العربي القديم، لأنَّ أكثر صيغه في الأصل أخبار نقلت من معانيها الأصلية إلى الإنشاء، وإنَّما المبحوث عنه في علم المعاني هو (الإنشاء الطلبي)، لما يمتاز به من لطائف بلاغية، ينظر: (الهاشمي، صفحة 70)

ويعد الدكتور تمام حسان هو أول من ساق مصطلح التركيب الافصاحي إلى الدرس اللغوي العربي الحديث في كتابيه: اللغة العربية معناها ومبناها والخلاصة النحوية. ويرى أنَّ هذه الأساليب الافصاحية تشترك في معانيها "من أنَّ لها طبيعة الافصاح الذاتي عما تجيش به النفس، فكلها يدخل في الأسلوب الإنشائي وتبدو شديدة الشبه بما يسميه الغربيون affective language، وجميعها يحسن بعده في الكتابة أن نضع علامة تأثر (!)، فالفرق بين (شتان زيد وعمرو) وبين (افترق زيد وعمرو) هو فرق ما بين الإنشاء والخبر فلا تصلح الثانية لشرح الأولى إذ لا تساويها في المعنى" (تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، 1994، صفحة 116)

ويرى الدكتور تمام حسان أنَّ الجملة الافصاحية خالية من معنى الطلب "وإنما يقصد بها التعبير عن خلجات النفس حتى عندما يقول القائل: صه أو يزجر الحيوان أو يحكي الصوت لا يقوم بصياغة جملة طلبية وإنما يعبر عن حاجة نفسية إلى الصمت أو الزجر أو غير ذلك" (حسان، 1420هـ-2000م، صفحة 148)

وبالنظر لما تحويه هذه الأساليب الافصاحية من طاقات تعبيرية انفعالية، وقدرة على الكشف عن المعاني النفسية والمواقف الانفعالية والافصاح عنها، فكان لها عظيم الأثر في تحشيد المعاني والاسهام في التعبير عن معانٍ معينة، تختلف باختلاف السياقات اللغوية التي تم توظيفها فيها. ولأنَّ الحجاج، "هو مجموعة من الاستراتيجيات الخطابية لمتكلم ما، يتوجه بخطابه إلى مستمع معين،

من أجل تعديل الحكم الذي لديه عن وضع محدد" (علوي، 2010، صفحة 282)، لذلك كان للأساليب الافصاحية دور محوري في رفد الحوار التفاعلي بين المتكلم والمخاطب على اختلاف أوضاعه، بما يعزز من القدرة الاقناعية للطرف الأول تجاه قناعات الطرف الآخر وتوجهاته. وسنحاول الإشارة إلى ما لهذه الاساليب من دور في توجيه دلالات النصوص القرآنية، وتوجيه المعنى وجهة تخدم آلية الحجاج اللغوي، لما تحمله من طاقات تعبيرية انفعالية، عن طريق تناول أسلوبين من الأساليب الافصاحية، هما: القسم والتعجب في مبحثين أنموذجا على ذلك.

المبحث الأول: حجاجية أسلوب القسم في القرآن الكريم:

القسم هو: أن يرغب المتكلّم الحِلف على شيء ما، فيحلف على شيء يكون فيه فخر له، أو تعظيم في الشأن، أو تنويه لقدرهِ، أو ذم للغير، أو جاريا مجرى الترفق و الغزل' أو خارجًا مخرج الزهد والموعظة. (السيوطي، 1373هـ، صفحة 279).

وأفرد المبرد في كتابه بابا للقسم، ذكر فيه أدوات القسم والمقسوم به والمقسوم عليه، إذ قال: "اعْلَم أَن للقسم أدوات توصل الحلف إِلَى الْمقسم بِهِ، لِأَنَّ الْحلف مُضْمر مطرح لعلم السَّامع بِهِ، كَمَا كَانَ قَوْلك يَا عبد الله محذوفا مِنْهُ الْفِعْل" (المبرد، 1979م، صفحة 318 ج2)، وذكر: "وَاعْلَم أَن الْقسم لَا يَقع إِلَّا على مقسم بِهِ ومقسم عَلَيْهِ" (المبرد، 1979م، صفحة 336 ج2).

وعرف الدكتور هادي نهر القسم بأنّه: "جملة يؤتى بها لتوكيد جملة أخرى، وإزالة الشك عن معناها، أو يؤتى بها لتحريك النفس وإثارة الشعور". (نهر، 1987م، صفحة 23)

وقال الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف عن القسم وعن إعرابه: "القسم جملة إنشائية إفصاحية تأخذ صورا خاصة مسكوكة، ولهذين السببين عددناها من الجمل غير الإسنادية المخصوصة. وفي إعراب الجملة القسمية بنوعيها لا نجد داعيا إلى أكثر من ذكر كون الأداة أداة قسم والمُقسم به مجرور مع الأداة، إذا كانت الجملة القسمية من النوع الثاني والله – تالله"، وإذا كانت من النوع الأول "لعمرك" فاللام هنا لام القسم، وعمرك مقسم به مرفوع . ويلاحظ أنّ مصطلح "الجملة القسمية" إنّما هو مصطلح النحاة القدماء أنفسهم، ويمكن أن ندرج تحته كل تعبير خاص(بالقسم ولا يتضح فيه وجه الإسناد) (عبد اللطيف، صفحة 108)

أركان القسم:

الاول: فعل القسم (أقسم) أو (أحلف).

الثاني: أداة القسم أو حروف القسم وهن: (الباء، والواو، والتاء، واللام، ومن). ولم يرد القسم في القرآن إلا بالأحرف الثلاثة الأولى.

الثالث: المقسم به، وهو الله سبحانه وتعالى، ولا يجوز القسم بغير الله، ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته.

الرابع: المقسم عليه أو جواب القسم. ينظر: (الرومي، 1426هـ، صفحة 421)

أنواع القسم:

القسم نوعان:

أ – قسم ظاهر أو صريح: ويستدل عليه بحرف القسم، مثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾(الذاريات:7،8).

أو يستدل عليه بفعل القسم كقول الشاعر:

وأقسم لا أنساك ما ذر شارق وما هب آل في ملمعة قفر

أو يستدل عليه بالحرف والفعل معا، كقوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها﴾(الأنعام: 109).

والقسم الظاهر نوعان:

النوع الأول: أن يقسم الله تعالى بذاته وصفاته.

النوع الثاني: أن يقسم الله تعالى بمخلوقاته.

ب – قسم مضمر أو غير صريح: وهو القسم المحذوف المدلول عليه بجوابه المقرون باللام، ينظر: (السامرائي ف.، 1990، صفحة 160و161 ج4)، نحو: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾(آل عمران: 186)، التقدير: والله لتبلون، بدلالة الجواب المقرون باللام. ونحو: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾(الحشر:12)، وقوله تعالى: {ولقد صدقكم الله وعده} (آل عمران: 152).

أو المدلول عليه بالمعنى والسياق كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾(مريم:71)، أي: والله ما من كافر إلا وارد النار، بدلالة المعنى والسياق، لأن هذه الآية جاءت بعد آيات مؤكدات بالقسم الملفوظ، وهو قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ فدل القسم الملفوظ على القسم الملحوظ. (عطا حسن، صفحة 3)

أحرف القسم:ـ

أشهر أحرف القسم :الواو والباء والتاء واللام. ينظر: (السامرائي ف.، 1990، صفحة 161 ج4)

حذف فعل القسم والفاعل:

يحذف فعل القسم وفاعله جوازا إذا كان القسم بالباء، نحو: (بالله لأقرأن درسي). أما إذا كان بالواو أو التاء فالحذف واجب، نحو: (والله لأرجعن إلى الدار) و(بالله لأكيدنّ اصنامكم) وتقدير الفعل في كل ذلك هو فعل (أقسم). (الأنطاكي، 1988، صفحة 58)

الغرض من القسم في استعماله:

يشير بعض الدارسين من القدماء والمحدثين إلى أن الغرض الأساس الذي يفيده استعمال القسم في العربية هو: توكيد الكلام المصاحب له وتقويتهِ. ينظر: (سيبويه، 2006م، صفحة 497 ج3). الدارسون القدامى متفقون على أنَّ القسم جملة إمّا في اللفظ، وذلك عندما تظهر معه كل العناصر الأساس للجملة فعلية كانت أم اسمية، نحو: أحلف بالله وعليَّ عهد الله، وأمّا في التقدير، وذلك عندما يختفي أحد العناصر الأساس من اللفظ فيلجأ إلى ملحوظاته وتقديره كما في قولهم: (بالله) الذي يقدّرون معه فعلا محذوفا، وهو (أقسمت) لكي تكتمل له عناصر الجملة الأساس، وكما في قولهم: (لعمرك) الذي يعدونه جزءا من جملة اسمية حذف خبرها والتقدير (لعَمرُك قسمي) (الجرجاني، 1982، الصفحات 862-864 ج2) و (ابن عصفور ع.، 1980م، صفحة 520 ج1)، قال عبد القاهر الجرجاني: "إذا قلت لعَمْرُك لأفْعَلنَّ، فعَمْرُك مبتدأ وخبره محذوف. التقدير: لعَمرُك قسمي فهذا يجري مجرى قولك: أقسمتُ بعمرِكَ" (الجرجاني، 1982، صفحة 862 ج5).

وذكر المحدثون منهم الدّكتور عبد القادر مرعي أنَّ: القسم هو أسلوب تأثري وإفصاحي لا تخفى قيمته الإفصاحية التأثرية في متذوق اللغة العربية و العارف بأسرارها، فهو عنصر تأكيد يعبّر به المتكلم عن مشاعرهِ في مواقف الشك والإنكار، ليزيل الشك من ذهن المتلقي. كما أنَّ القسم تعظيم للمقسم به، وكثيرا ما يستخدم العرب هذا الأسلوب للتفخيم والتعظيم ... فضلا عن استخدامه في مواقف التعجب للتعبير عن مشاعر الدهشة والاستغراب... وتكمن قيمة القسم التأثرية الإفصاحية كذلك في دلالته على التكريم أو التفضيل أو التنبيه (مرعي، 1995، صفحة 115).

وقد أدرج الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف القسم ضمن الجمل الإفصاحية التي أطلق عليها تسمية: (الجمل غير الإسنادية)، وأشار إلى أنّ "القسم منه ما يتكون من أداة القسم والمُقسم به بعدها، مثل: واللهِ – باللهِ – تاللهِ، ومنه

ما هو كلمات لا تكون إلاّ نصا في القسم بصيغتها، مثل: لعَمْرُك، وأيْمن الله، ويمين الله" (عبد اللطيف، صفحة 107)

فهو من اساليب الحجاج المهمة في القرآن الكريم "إنَّ الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها، وذلك أنَّ الحكم يفضل بين اثنين إما بالشهادة وإما بالقسم، فذكر الله تعالى النوعين حتى لا تبقى لهم حجة" (الزركشي، 1958، صفحة 468 ج3)

ويقوم الحجاج على مبدأ التفاعل والحوار، بحيث تكون في الأول نية التأثير في الطرف الثاني ذلك" أننا نتكلم عامة بقصد التأثير" (العزاوي، 1426هـ-2006م، صفحة 14)، والحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب. (علوي، 2010، صفحة 57)

وليس هو في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها، ثم محاولة حيازة انسجامها الايجابي، والتحامها مع الطرح المقدم، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان فإن الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير (علوي، 2010، صفحة 273)

وكما هو معلوم، إنَّ الناس طبقات "فمنهم من لا يقر بالشيء إلا بالبرهان الحقيقي، ومنهم من لا ينتفع بالبرهان الحقيقي بل ينتفع بالأشياء الاقناعية نحو القسم" (نصار، 1421هـ-2001م، صفحة 120) لذلك كانت الحاجة ماسة إلى اشراك القسم في الكلام، كونه يؤكد الدعوى قبل عرضها، "لأنَّ من أخبر عن شيء وأكَّده بالقسم فقد أخرجه عن الهزل وأدخله في باب الجد" (الرازي، 1401هـ-1981م، صفحة 264 ج17)

ويأتي القسم في اللغة العربية لتأكيد المقسم عليه، وتمكينه في النفس، والقرآن يخاطب الناس كافة وفيهم المنكر وفيهم الشاك، وفيهم الخصم الألد، وفيهم المؤمن المصدق، ولكل منهم الأسلوب الذي يناسبه من المؤكدات أو عدمها، فجاء القسم لإقامة الحجة، وتأكيد الخبر، ولتطمئن نفس المؤمن (الرومي، 1426هـ، صفحة 419). ورأت د. عائشة عبد الرحمن "أنَّ القسم يأتي في مقام التوثيق لما يسبق إنكاره، أو الاقرار والشهادة" (بنت الشاطئ، 1971م، صفحة 226)

ويقول د. أحمد بدوي: "وإذا كان القسم لا ينجح أحيانا في حمل المخاطب على التصديق، فإنه كثيرا ما يوهن في النفس الفكرة المخالفة، ويدفع إلى الشك

فيها، ويبعث المرء على التفكير القوي فيما ورد القسم من أجله" (بدوي، 2005، صفحة 170)

ومن القسم قوله تعالى حكاية عن قول ابراهيم عليه السلام:﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾(الأنبياء:57) وردت جملة القسم في قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ في معرض حوار سيدنا ابراهيم (عليه السلام) مع أبيه وقومه، إذ قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ "فذكر محاجته لقومه، ونهيهم عن الشرك. فبعد أن بيَّن أنَّ أصنامهم ليس لها من التدبير شيء، أراد أن يريهم بالفعل عجزها، وعدم انتصارها وليكيد كيدا يحصل به اقرارهم بذلك (السعدي، 1422هـ-2002م، صفحة 525) فانتقل من تغيير المنكر بالقول إلى تغييره باليد، مؤكدا عزمه بالقسم. واستخدم حرف القسم التاء دون سواها، والتاء تختص بالقسم على أمر متعجَّب منه، وتختص باسم الجلالة (ابن عاشور، صفحة 97 ج17)، "وهو شروع منه عليه السلام في تأكيد محاججته لهم وتأكيد ما ذهب إليه من بطلان ما يعبدون من الاصنام التي لا تضر ولا تنفع بالطريقة الفعلية وبالدليل العملي وباستخدام القسم لأجل تعزيز دعواه في سبيل اعناق الطرف الآخر وتبديل قناعاتهم" (الدرويش، 1412هـ-1992م، صفحة 329 ج6)

فبين ثقته بصحة ما دعا إليه وبطلان ما يعبدون من التماثيل التي لا تضر ولا تنفع، وعبر لهم عن قدرته على اثبات ما ذكره بالحجة وأكد ذلك بالقسم، والقسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتقويه، "وليس مثلهم فيقول ما لا يقدر على اثباته بالحجة، كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم". (الرازي، 1401هـ-1981م، صفحة 182 ج22) وينظر: (القطان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، صفحة 301). وحسن اختيار حرف القسم التاء الذي يختص بالدخول على لفظ الجلالة، لتؤدي غرضه الحجاجي، فلا يقسم بها إلا في الله خاصة فقداسته مدعاة لتصديقهم.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾(الذاريات:23)

بعد أن ذكر سبحانه ما للذين كذبوا على الله وجحدوا آياته من العذاب والنار وثواب المتقين الذين آمنوا بالله تعالى وأطاعوه، دعا عباده إلى التدبر والاعتبار بقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ وهذه الدعوة شاملة للأرض وما فيها من جبال وبحار وأشجار وغيرها، والتي تعكس للمتأمل فيها عظمة خالقها، وعلمه بالظاهر والباطن. ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ وكذلك في نفس العبد من العبر الدالة على أنَّ الله وحده الفرد الصمد، لم يخلق هذا الكون عبثًا حاشاه سبحانه. وقوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: مادة رزقكم من الأمطار وصنوف الاقدار الرزق الديني والدنيوي. (وما توعدون) من الجزاء في الدنيا والآخرة فإنه ينزل من عند الله كسائر الاقدار. أقسم تعالى بنفسه على أنَّ وعده وجزاءه حق، وأنَّ ما ذكر من أمر الرزق والآيات حق لا شك فيه وشبه ذلك بأظهر الاشياء لنا وهو النطق، فكما لا تشكون فيما تنطقون، فكذلك لا تشكون في حصول ما وعدتم به فقال: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ فكما لا تشكون في نطقكم، فكذلك لا ينبغي الشك في البعث بعد الموت، ينظر: (السعدي، 1422هـ-2002م، صفحة 955). والمعنى: "إنَّه في صدقه وتحقق وجوده كالذي تعرفه ضرورة" (الطبرسي، صفحة 199 ج9)

فلاحظ كيف أقام القسم الحجة على المعاندين الشاكين، كونه وسيلة لتأكيد الدعوى وتقرير حدوثها، لأنَّ من حكى شيئًا وأكَّد خطابه بالقسم فقد اخرجه عن الهزل وأدخله في باب الجد. "وروي أنَّ أعرابي سمع قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ فصاح وقال: يا سبحان الله، من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف، لم يصدقوه بقوله حتى ألجئوه إلى اليمين" (الزمخشري، 1433هـ-2012م، صفحة 268 ج4)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾(سبأ:3) جملة القسم في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، إذ أقسم الله تعالى على لسان نبيه الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: (قل بلى وربي) أي: وحق الله ربي الذي خلقني وأوجدني، إنَّ القيامة آتية كائنة لا محالة، وهو قسم عظيم مقرون بلفظ الجلالة (ربي)، أقام الحجة عليهم ببطلان ما ادعوا من قولهم: (لا تأتينا الساعة)، فنقض دعواهم في انكار مجيء الساعة مؤكدا حجته بالقسم، وأزال الشك عند المخاطب عن طريق توكيد الخبر. ينظر: (الطبرسي، صفحة 145ج8)

"بعد أن أوجب ما بعد النفي بـ(بلى) على معنى: أن ليس الأمر إلا إتيانها، ثم أعيد إيجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد، وهو التوكيد باليمين بالله – عز وجل- ثم أمد التوكيد القسمي إمدادا بما أنبع المقسم به من الوصف بما وصف به، الى قوله: (ليجزي) لأن عظمة المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته" (الزمخشري، 1433هـ-2012م، صفحة 523 ج3)

ومن القسم القرآني قوله تعالى:﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾(مريم:68) (اقسم الله تعالى وهو أصدق القائلين- بربوبيته، ليحشرن هؤلاء المنكرين للبعث، هم وشياطينهم فيجمعهم لميقات يوم معلوم. ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ أي: جاثين على ركبهم من شدة الأهوال، وكثرة الزلزال، وفظاعة الأحوال، منتظرين لحكم الكبير المتعال (السعدي، 1422هـ-2002م، صفحة 580). وفي هذا القسم تأكيد للخبر ورد لدعوة الكافر المنكر للبعث بعد الموت الذي يقول استهزاءً أإذا مت سوف أخرج من قبري حيا حياة ثانية، إنَّ هذا لبعيد ناسيا هذا المنكر أنَّ الله خلقه من قبل ولم يكن شيئا، فيستدل بالخلق الاول على الخلق الثاني مع أن الخلق الثاني أسهل وأيسر. (التفسير، 1436هـ، صفحة 310)

فكان هذا القسم برهانا مفحما لهم وتوثيقا لما سبق من انكارهم البعث والحساب بعد الموت، وردا لحجتهم بالمؤكدات التي تؤكد المقسم عليه، وتمكنه في نفس السامع تمكينا يحملهم على الاذعان والاعتراف بخطئهم وبطلان ما ذهبوا اليه. "فالقسم في كلام الله يزيل الشكوك، ويحبط الشبهات، ويقيم الحجة، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة" (القطان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، صفحة 301)

"وفي إقسام الله تعالى باسمه -تقدست أسماؤه- مضافا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه" (الزمخشري، 1433هـ-2012م، صفحة 30 ج3)

ومنه ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾(يونس:53). أخبر الله تعالى عَنِ الْكُفَّار بقَوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[يونس: 48] . وَأَجَابَ عَنْهُ بِمَا ذكره من آيات كريمات، فَحَكَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ رَجَعُوا إِلَى الرَّسُولِ (صلى الله عليه وآله وسلم) مَرَّةً أُخْرَى فِي عَيْنِ هَذِهِ الْوَاقِعَة، وسألوه عَنْ ذَلِكَ السؤَالِ مَرَّةً أُخْرَى وَقَالُوا: وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ) استخبار عناد واستكبار، لا استخبار تبيان ورشاد. (أحق هو) أي: أصحيح حشر

العباد، وبعثهم بعد موتهم ليوم الحساب، وجزاء العباد بأعمالهم، إن خيرًا بخير، وإن شرًا فشر؟ "ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى أَمَرَهُ أَنْ يجِيبهم بقوله: قُلْ: ﴿إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾، والفائدة "أن يستميلهم وَيَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ بِالْكَلَامِ الْمُعْتَاد، وَمِنَ الظَّاهِرِ أَنَّ مَنْ أَخْبَرَ عَنْ شَيْءٍ، وَأَكَّدَهُ بِالْقَسَمِ فَقَدْ أخرجه عَنِ الهَزل وَأدخَلَه فِي بَابِ الجدِّ" (الرازي، 1401هـ-1981م، صفحة 264 ج17) (وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ) لله تعالى أن يبعثكم، فكما ابتدأ خلقكم، ولم تكونوا شيئا، كذلك يعيدكم مرة أخرى ليجازيكم بأعمالكم، ينظر: (الطبرسي، صفحة 152 ج5) و(السعدي، 1422هـ-2002م، صفحة 421).

وكان في ذكر القسم في معرض رده عليهم اهمية كبيرة كونه من اساليب التأكيد التي يتخللها البرهان المفحم، والاستدراج بالخصم الى الاعتراف بما يجحد، لذلك لم يترك عزَّ وجلَّ الكلام من دون تأكيد، بل اكده بالقسم لتعزيز اجابته، وليبين صدق ما جاء به، ويدعو خصمه للتفكر وتغيير معتقداته الباطلة، بعد أن اقحمه وأبطل جدله بقسم عظيم فيه الثبات والاستقامة، وقوة حال المقسم عليه المستمدة من عظمة المقسم به، وذلك لأنَّ الاستعداد النفسي عند الفرد في تقبله للحق وانقياده لنوره يتباين، فمنهم من تكفيه الإشارة الخفيفة، ومنهم من لا يهتز قلبه إلا بمطارق الزجر، وصيغ التأكيد. ينظر: (القطان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، صفحة 300)

المبحث الثاني: حجاجية أسلوب التعجب في القرآن الكريم:

معنى التعجب: تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأنَّ التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله. (السيوطي، 1373هـ، صفحة 226)

والتعجب استعظام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها، وخرج بها المتعجب منه عن نظائره، أو قلَّ نظيره، لأنَّ ما تكثر نظائره في الوجود لا يستعظم. ولأنَّ التعجب لا يتصور إلا ممّن يجوز في حقه الاستعظام، لذلك لا يجوز أن يرد التعجب من الله تعالى، فإن ورد ما ظاهره ذلك صرف إلى المخاطب، نحو قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾، أي: هؤلاء ممن يجب أن يتعجب منهم. (ابن عصفور، 1391هـ-1971م، صفحة 71 ج1)

قال ابن السّراج عن التعجّب: "والتعجّب كلّه إنّما هو ممّا لا يعرف سببه، فأمّا ما عرف سببه فليس من شأن الناس أن يتعّجبوا منه، فكلما أبهم السبب كان أفخم وفي النفوس أعظم". (السراج، صفحة 102 ج1)

وذكر السيوطي: قال الرّماني: "المطلوب في التعجب الإبهام؛ لأن من شأن النّاس أن يتعجبوا مما لا يعرف سببه، فكل ما استبهم السبب كان التعجّب أحسن. قال: وأصل التعجّب إنما هو للمعنى الخفي سببه، والصيغة الدّالة عليه تسمى تعجُّبا مجازا". (السيوطي، 1373هـ، صفحة 227)

والتعجب "شعور داخلي تنفعل به النفس حين تستعظم أمرًا نادرًا، أو لا مثيل له، مجهول الحقيقة، أو خفي السبب، ولا يتحقق التعجب إلا باجتماع هذه الأشياء كلها" (حسن، 1431هـ، صفحة 339 ج3)

وللتعجب أساليب عدة، وهي تنحصر في نوعين:

أولا- التعجب القياسي (الاصطلاحي): وهو مضبوط بقواعد محددة، وله صيغتان قياسيتان، هما: ما أفْعَلَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾. وأفْعِلْ به، كَقَوْلِهِ: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾، يقول ابن مالك: (ابن عقيل، صفحة 147 ج2)

بِأفعَلَ انْطِق بعدَ (ما) تَعَجُّبا أو جيءَ بِـ (أفعِل) قبلَ مَجرورٍ بِبا

وتِلو أفعَلَ انصِبَنَّهُ: كَ (ما أوفى خليلينا، وأصدِقْ بِهِما)

وهذان وزنان يستعملان عند إرادة التعجب من شيء تنفعل به النفس، ينظر: (حسن، 1431هـ، صفحة 341 ج3). ذكر الدكتور محمد الأنطاكي أنَّك إذا أردت أن تتعجب من شيء ما، كجمال الربيع مثلا، فلك في ذلك تركيبان، هما:

1. ما أجملَ الربيعَ.
2. أجملْ بالربيع.

وعدَّ النحاة التركيب الأول مساويا لقولنا: (شيٌ جمّل الربيعَ)، أي: إنَّ (ما)= (شيءٍ) و(أجملَ)= (جمّل) و(الربيع= الربيع). وعلى الرغم من التكلف الظاهر في هذه المقارنة والمساواة إلا أنَّ ذلك لابد منه من أجل إيجاد اعراب لهذا التركيب. ويبدو الأمر أكثر غرابا وتكلفا في التركيب الثاني (أجملْ بالربيع) فقد عدَّ النحاة فعل (أجملْ) ماضيا مساويا لقولنا: (جَمُلَ) على الرغم من صيغة الأمر الظاهرة في الفعل، وعدوا الباء (بالربيع) زائدة، والربيع فاعلا لفعل (أجمل). (الأنطاكي، 1988، 57)

وتساءل الدكتور السامرائي في صيغة التعجب الثانية (أفعل به) كيف يكون (أفعل) مسندا، فاعله الاسم المجرور بالباء، وما الفرق بين: (ما أحسنَ زيدًا)، و(أحسنْ بزيدٍ) وكلتا الجملتين تفيد التعجب، وكيف يكون (زيد) مرة مفعولًا ومرة فاعلًا. ينظر: (السامرائي، 1999، صفحة 117)

دخول الباء على المتعجب منه:

تدخل الباء على المتعجب منه كثيرا، من ذلك دخولها دخولًا لازمًا بعد صيغة (أفْعِلْ) فيقال: (أكْرِمْ بخالدٍ)، ولولا هذه الباء لم يعرف أنَّ المقصود به التعجب، فلو قيل: أكْرِمْ خالدًا، لم يكن فيه معنى التعجب، فالباء عينت أن المقصود به التعجب.

وتدخل كثيرا في صيغ اخرى من صيغ التعجب، فقد تدخل على فاعل (فعُل) المحول إلى التعجب، نحو: (حسن بخالد) و(كرم به)، ودخولها على الفاعل في نحو هذا يدل على أن المقصود بالفعل التعجب، فإذا حذفت أحتمل الكلام التعجب وغيره. (السامرائي ف.، 1990، صفحة 288 ج4)

شروط اشتقاق فعلا التعجب:

لا يشتقان إلا إذا توفرت الشروط السبعة:

1. فعلا ثلاثيا.
2. فعلا تاما.
3. متصرفا.
4. قابلا للتفاوت (المفاضلة).
5. مبنيا للمعلوم.
6. مثبتا غير منفي.
7. صفته المشبهة على غير وزن أَفْعَلَ، مثل: ما أصْدَقَ.

فإن نقص في الكلمة شرط من هذه الشروط، توصلت إلى التعجب بذكر مصدرها، بعد صيغة تعجب مستوفية للشروط.

فكلمة إنسان ليست فعلًا ثلاثيًا، وكان فعل غير تام، والموت غير قابل للتفاوت، وهُزِم خَصمُك مبني للمجهول، والخُضرة الصفة المشبهة منها على وزن أفعل، فإن أردت التعجب منها قلت مثلا: ما ألطف انسانيته، وأحلى كونك راضيًا. (مرعي، 1995، صفحة 46).

ويؤكد الدكتور شوقي ضيف أنَّ صيغتي التعجب "لا تحتاجان إلى شروط هي في واقع الأمر منقوضة؛ ولذلك ينبغي أن تحذف كل تلك الشروط في النحو التعليمي، إذ لا حاجة للصيغتين إليها، وهي لا تمثل واقعًا لغويًا صحيحًا". (ضيف، 1993، صفحة 142)

خالفة التعجب:

يسميها النحاة صيغة التعجب, وليس هناك من دليل على فعليتها، بل إن هناك ما يدعو إلى الظنّ أن خالفة التعجب ليست إلّا أفعل تفضيل تُنُوسِيَ فيه هذا المعنى وأدخل في تركيب جديد لإفادة معنى جديد يمت إلى المعنى الأول بصلة, وليس المنصوب بعد إلّا المفضَّل الذي نراه هنا بعد صيغة التفضيل, ولكنه في تركيب جديد وبمعنى جديد, وليست العلاقة بين الصيغة وبينه علاقة التعدية, وقد سبق لنا أن ذكرنا أمر نقل الصفة إلى علم, والفعل إلى علم "ومن العلم ما ينقل", ونقل الظروف إلى أدوات, والإشارة المكانية إلى الظرفية, وبعض حروف الجر إلى الظرفية, فلا جرم أننا نزعم هنا أن صيغة التعجب هي صيغة التفضيل منقولة إلى معنى جديد في تركيب جديد, ولا سيما لأنها ورد تصغيرها كما يصغَّر التفضيل, وإن شروط صياغتهما واحدة.

صغ من مصوغ من للتعجب ... أفعل للتفضيل وأب اللِّذْ أبى

وما به إلى تعجب وصل ... لمانع به إلى التفضيل صل

ولكن هذه الصيغة في تركيبها الجديد أصبحت مسكوكة لا تقبل الدخول في جدول إسنادي كما تدخل الأفعال, ولا في جدول تصريفي كما تدخل الأفعال والصفات, ولا في جدول إلصاقي كما يدخل هذان ومعهما الأسماء, ولعل فيما يأتي ما يوضح بعض الفهم الذي خطر لي بالنسبة لتركيبي التعجب:

ما= أداة تعجب

أفعل= خالفة منقولة عن التفضيل

زيدًا= المفضل وقد أصبح متعجبًا منه التركيب كله مسكوك idiomatic كالأمثال التي لا تتغير

أَفْعِلْ= صورة أخرى من أفعل التفضيل

ب= مضمَّنة معنى اللام

زيد= المفضَّل وقد أصبح متعجبًا منه

والمعنى ما أشد عجبي له, والتركيب مسكوك ثابت الصورة, والمعنى في الحالتين على الإفصاح "أي: التعبير عن الانفعال والتأثر" (تمام، 1994، صفحة 114)

قال الدكتور عبد القادر مرعي عن تنغيم جملة التعجب: "ولما كان التعجب انفعالا يعرض للنفس فتنفجر لغته من الفم تحت تأثير ذلك الانفعال ارتبط بتنغيم

خاصّ للتعبير عن ذلك الانفعال، حيث ارتبط تركيب ما أفعلَ! بالنغمة الصوتية الصاعدة في بداية الجملة، ثم تأخذ هذه النغمة الصاعدة في نهاية الجملة. كما أنَّ (أفْعِلْ بِهِ) ارتبط بالنغمة الصوتية المستوية في بداية الجملة ثم تأخذ هذه النغمة وضع النغمة الهابطة في نهاية الجملة". (مرعي، 1995، صفحة 83)

ثانيا- التعجب السماعي (المطلق): هذا النوع لا تحديد له ولا ضابط، وانما يترك لمقدرة المتكلم، ومنزلته البلاغية، ويفهم بالقرينة، ومنه: لله درك! ويا لك أو يا له، وعَجَب مصدرًا ومشتقاته، كعَجِب وعجيب، وسبحان الله! التي تصاحبها قريبة تدل على أن المقصود منها التعجب، ومنها الاستفهام المقصود منه التعجب، كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(البقرة:28)، ينظر: (حسن، 1431هـ، صفحة 340و341 ج3)

وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب التعجب بنوعيه القياسي والسماعي، لكن استخدام القرآن للتعجب القياسي بصيغتيه كان قليلا مقارنة باستخدامه لعبارات التعجب السماعية التي تحمل معنى التعجب والاستعظام من طبيعة السياق الذي ترد فيه وطبيعة حال المخاطبين.

من أمثلة التعجب القياسي، قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾(البقرة:175)

بعد أن ذكر الله تعالى حال اليهود بكتمان صفة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والبشارة به، واستبدالهم به عرضا قليلا، بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ بين ما لهؤلاء من عذاب في الدنيا والآخرة فلا يأكلون في بطونهم إلا نارا، ولا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب عظيم، وذلك لشناعة ما قاموا به، ثم أكدَّ ضلالة هؤلاء وخسرانهم مرة أخرى فقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ في الدنيا، ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ في الآخرة، بكتمان الحق للمطامع والأغراض الدنيوية. ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة، ينظر: (البيضاوي، 1418هـ، صفحة 120 ج1) وهو تعجب استعظام من صبرهم وتحملهم النار، وعملهم الأسباب التي يعلمون أنها موصلة لها، وفيه توجيه للسامعين إلى اظهار العجب والدهشة من مصيرهم العجيب. وفي صيغة التعجب ابطال لحجة كل من ابتعد عن الحق الذي اشتمل عليه الكتاب، وانذارا لهم على حتمية العذاب الذي ينتظرهم، ويستحقونه جراء اتباعهم الباطل في الدنيا والاخرة. وكان لإلقاء الكلام بصيغة

التعجب دلالة على ثقة المتكلم بنفسه، فلا يوجد ادنى شك من تحقق ما توعد به المكذبين الضالين، وان حجته قائمة دون شك وفيها اقحام للخصم على الرد فلو كان في الكلام شك لرده عليه. وهو يحملهم على التراجع عن فعلهم لثبوت ما ينتظرهم من العذاب.

ويرى الرازي أن في قوله تعالى "معنى التَّعجب وَتَقرِيره أَنَّ الرَّاضِيَ بِمُوجِبِ الشَّيْءِ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ رَاضِيًا بِمَعْلُولِهِ وَلَازِمِهِ إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ اللُّزُومَ فَلَمَّا أَقْدَمُوا عَلَى مَا يُوجِبُ النَّارَ وَيَقْتَضِي عَذَابَ اللَّهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِذَلِكَ صَارُوا كَالرَّاضِينَ بِعَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالصَّابِرِينَ عَلَيْهِ" (الرازي، 1401هـ-1981م، صفحة 207 ج5).

ومن هذا التعجب ايضا قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (الكهف:26)، قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ تعجب قياسي من كمال بصره وسمعه جاء بصيغة (أفْعِلْ به)، والمعنى ما أبصره وما أسمعه، وقد "ذُكِر بصيغة التعجب، للدلالة على أنَّ أمره تعالى في الادراك خارج عمّا عليه إدراك السامعين والمبصرين، إذ لا يحجبه شيء، ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي" (شيخ زاده، 1419هـ-1999م، صفحة 470 ج5)، فلا يتعجب من شيء إلا إذا فاق حدود الطبيعة، فلا يتسرب إلا اذهان المخاطبين شك في معرفة المتكلم بكل ما يتعلق بالكون، فهل يبقى مجال للمراوغة والمعاندة أمام هذا العلم المطلق لرب الكون، فلم يكتفِ القرآن الكريم بالإخبار بأنَّ الله تعالى له غيب السماوات والأرض، بل اتبع حجته بما يدعم قوله فجاء بصيغة التعجب لإزالة الشك واجبار المخاطب على التسليم والاذعان.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(البقرة:28)

بدأت الآية المباركة بالاستفهام الدال على الانكار والتعجيب من حال هؤلاء الكفار، فذكر سبحانه أنَّ أمركم أيها الكفار لعجب! كيف تكفرون بالله، وانتم تشاهدون دلائل قدرته في أنفسكم، فقد كنتم عدمًا لا شيء، فأنشأكم وأحياكم، ثم هو يميتكم الموتة الثانية، ثم يحييكم الحياة الثانية، ثم يرجعكم إليه ليحاسبكم على ما قدمتم (التفسير، 1436هـ، صفحة 5)، فما أعجب كفركم مع حالكم هذه، واستمر في حجاجه معهم وأكدَّ ذلك بأن عدد عليهم النعم العامة والخاصة، واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة، فإن

عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم، فهو استخبار فيه انكار لكفرهم، بإنكار الحال التي يكون عليها بالدليل العقلي، فإذا ثبت انكار أن يكون لكفرهم حال، استلزم ذلك انكار وجوده (البيضاوي، 1418هـ، صفحة 65 ج1). فجاء هذا التعجب من فعلهم حجة بالغة عليهم تقودهم إلى التسليم ببطلان كفرهم والرضوخ للحق بعد وضوح عجزهم عن الدفاع عن موقفهم الباطل. ودعوتهم إلى مراجعة أنفسهم مع كل هذه الدلائل والبراهين وعجزهم عن البرهنة لحجتهم واستمرار موقف الكفر لديهم.

نتائج البحث:

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1ـ الدكتور تمّام حسان كان أول من ميّز هذه المعاني في العربية بصفتها الإفصاحية ووضعها في قسم خاص من أقسام الكلم وأطلق عليها تسمية: (الخوالف)؛ وذلك في كتابه: (اللغة العربية معناها ومبناها). وسار على نهجه الكثير من الباحثين المحدثين.

2ـ الدّكتور تمام حسان يؤكد أنَّ الجملة الإفصاحية ليس فيها معنى الطلب، وإنّما يقصدُ بها التعبير عن خلجات النفس، حتى عندما يقول القائل: صه أو يزجر الحيوان أو يحكي الصوت، لا يقوم بصياغة جملة طلبية، وإنّما يعبّر عن حاجة نفسية إلى الصمت أو الزجر أو غير ذلك.

3ـ كان لهذه الاساليب الافصاحية دور كبير في توجيه دلالات النصوص القرآنية، وتوجيه المعنى وجهة تخدم آلية الحجاج اللغوي، لما تحمله من طاقات تعبيرية انفعالية.

4. القسم أسلوب تأثري إفصاحي لا تخفى قيمته الإفصاحية التأثرية في متذوق اللغة والعارف بأسرارها، فهو عنصر تأكيد يعبّر به المخاطب عن مشاعرهِ، وأفكاره؛ لإقناع المخاطَب والتأثير فيه.

5ـ التعجب انفعال يعرض للنفس، لتعظيم الأمر في قلوب المتلقين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائرهِ وأشكالهِ، وله دور محوري في توجيه الحوار، وهو يرتبط بتنغيم خاص للتعبير عن ذلك الانفعال.

6. استخدم القرآن الكريم التعجب بمواقع كثيرة ومعظم استخدامه كان للصيغة السماعية التي تعتمد على طريقة الاستعمال والسياق الذي ترد فيه، بحيث تخرج العبارة من معناها الحقيقي إلى المعنى التعجبي.

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- ابراهيم السامرائي. (1999). النحو العربي نقد وبناء. دار عمار للنشر والتوزيع.

3- ابن السراج. (بلا تاريخ). الأصول في النحو.

4- ابن منظور. (بلا تاريخ). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.

5- ابو بكر العزاوي. (1426هـ-2006م). اللغة والحجاج (المجلد الاولى). الدار البيضاء.

6- أحمد أحمد بدوي. (2005). من بلاغة القرآن. مصر: مطبعة النهضة.

7- أحمد بن ابراهيم الهاشمي. (بلا تاريخ). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. بيروت: المكتبة العصرية.

8- الخليل بن أحمد الفراهيدي. (1431ه). كتاب العين. دار ومكتبة الهلال.

9- الفضل بن الحسن الطبرسي. (بلا تاريخ). مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت- لبنان: دار المرتضى.

10- المبرد. (1979م). المقتضب (المجلد الثانية). (تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المحرر) مصر.

11- بدر الدين أبي عبد الله الزركشي. (1958). البرهان في علوم القرآن. حلب: دار احياء الكتب العربية.

12- بهاء الدين السبكي القزويني. (2008م). شروح التلخيص. مصر: دار البصائر.

13- بهاء الدين عبد الله ابن عقيل. (بلا تاريخ). شرح ابن عقيل. بيروت - لبنان: دار احياء التراث العربي.

14- تمام حسان. (1420هـ-2000م). الخلاصة النحوية (المجلد الاولى). القاهرة: عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة.

15- جلال الدين السيوطي. (1373هـ). الاتقان في علوم القرآن. (تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، المحرر) طهران: منشورات الشريف الرضي.

16- جماعة من علماء التفسير. (1436هـ). المختصر في تفسير القرآن الكريم (المجلد الثالثة). السعودية- الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية.

17- حافظ اسماعيل علوي. (2010). الحجاج مفهومه ومجالاته. اربد- الأردن: عالم الكتب الحديث.

18- حسان تمام. (1994). اللغة العربية معناها ومبناها. المغرب: دار الثقافة.

19- حسان تمام. (2005م). الخلاصة النحوية (المجلد الثانية). مصر: عالم الكتب.

20- حسين نصار. (1421هـ-2001م). القسم في القرآن الكريم. بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية.

21- رضي الدين الاستراباذي. (2000م). شرح الرضي على كافية ابن الحاجب (المجلد الاولى). (عبد العال سالم مكرم، المحرر) مصر: عالم الكتب.
22- سامي عطا حسن. (بلا تاريخ). أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم بلاغته وأغراضه. جامعة آل البيت- المفرق، صفحة 50 صفحة.
23- شوقي ضيف. (1993). تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا (المجلد الثانية). القاهرة: دار المعارف.
24- عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ. (1971م). الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق. مصر: دار المعارف.
25- عباس حسن. (1431ه). النحو الوافي (المجلد الخامسة عشرة). دار المعارف.
26- عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (1422هـ-2002م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (المجلد الطبعة الثانية). السعودية: دار السلام للنشر والتوزيع.
27- عبد القادر مرعي. (1995). أساليب الجملة الافصاحية في النحو العربي. الاردن: مؤسسة رام.
28- عبد القاهر الجرجاني. (1982). المقتصد في شرح الايضاح. (تحقيق: الدكتور كاظم بحر المرجان، المحرر) العراق: منشورات وزارة الثقافة والإعلام.
29- عثمان بن قنبر سيبويه. (2006م). الكتاب (المجلد الثالثة). مصر: مكتبة الخانجي.
30- علي بن المؤمن ابن عصفور. (1980م). شرح جمل الزجاجي. (تحقيق: الدكتور صاحب أبو جناح، المحرر) الموصل: وزارة الاوقاف والشؤون الدينية.
31- علي بن مؤمن ابن عصفور. (1391ه-1971م). المقرب. بغداد: مطبعة العاني.
32- فاضل السامرائي. (1990). معاني النحو. الموصل: دار الحكمة للطباعة والنشر.
33- فايزة بوسلاح. (2014-2015). السلالم الحجاجية في القصص القرآني. أطروحة دكتوراه. الجزائر: جامعة وهران/ كلية الآداب والفنون.
34- فخر الدين بن ضياء الدين الرازي. (1401هـ-1981م). مفاتيح الغيب. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
35- فهد بن عبد الرحمن الرومي. (1426هـ). دراسات في علوم القرآن الكريم (المجلد الرابعة عشر). الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
36- كريستيان بلانتان. (2010). الحجاج. (عبد القادر المهيري، المترجمون) تونس: منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة.
37- محمد الأنطاكي. (1988). المنهاج في القواعد والاعراب. دار التربية للطباعة والنشر.
38- محمد الطاهر ابن عاشور. (بلا تاريخ). التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

39- محمد حماسة عبد اللطيف. (بلا تاريخ). العلامة الاعرابية.

40- محمود بن عمر الزمخشري. (1433هـ-2012م). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل. القاهرة: دار الحديث.

41- محيي الدين الدرويش. (1412هـ-1992م). إعراب القرآن الكريم وبيانه (المجلد الثالثة). حمص-سوريا: دار الارشاد للشؤون الجامعية.

42- محيي الدين محمد بن مصلح شيخ زاده. (1419هـ-1999م). حاشية الشيخ زاده (المجلد الأولى). بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.

43- مناع بن خليل القطان. (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م). مباحث في علوم القرآن (المجلد الثالثة). مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

44- ناصر الدين عبد الله البيضاوي. (1418هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل (المجلد الاولى). (تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشي) بيروت: دار احياء التراث العربي.

45- هادي نهر. (1987م). التراكيب اللغوية في العربية. بغداد: مطبعة الارشاد.

46- هشام عبد الله الخليفة. (2007م). نظرية الفعل الكلامي (المجلد الاولى). لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.

47- هشام عبد الله الخليفة. (2007م). نظرية الفعل الكلامي (المجلد الاولى). لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.

Argument of persuasive methods in the holy Quran

Dr. Nibras Hussein mahawash
College of Mass Communication
University of Baghdad
Nibras.h@comc.uobaghdad.edu.iq

Dr. Balsam Abbas Hamoudi
Center for Strategic Studies
Karbala University
balsam.a@uokerbala.edu.iq

Keywords: Argument, Oath, persuasive methods, holy Quran.

Summary:

This study seeks about arguments for structures or phrases that express special emotional meanings like a rude contract ,swearing ,wail and amazement Which modern scholars called: (emotional methods, or disclosure methods), Phrases raised the specificity of their verbal construction by its difference from the usual verbal construction of (sentence) based on the relationship of the original attribution multiple academic problems occupied a wide area of attention of the linguistic lesson frequently and recently .

Dr. Tammam Hassan was the first one distinguish these meanings in Arabic as a disclosureist and put them in a special section of the speech sections, and called them: (Khawalif); In his book: (Arabic meaning and building).so he looked at these topics in his book "Grammatical Compendium" , then produced several topics , like format contracts and called them " Disclosures" ,look (Tammam,1994,page 88,113) ,said "the declarative sentence does not have the meaning of request, but rather it is meant to express the Self retreats, but it express about the need to silence, look (Tammam, grammatical conclusion,2005,page148).

So the study includes an introduction talking about Argument concept and the Argumentative theory and And the term disclosure methods. And two parts :the first the Argument of swear style in the holy Quran, and the second Argument of Exclamation Style in the holy Quran, the research ends with a conclusion including main results of the research and a list of resources and references